القيم الأخلاقية وأثرها في تحقيق الأمن الأسري
سورة لقمان نموذجًا

إعداد

د/ حنان بنت قاسم العنزي

أستاذ الدراسات الإسلامية المُشارك

جامعة الملك سعود بن عبد العزيز للعلوم الصحية

القيم الأخلاقية وأثرها في تحقيق الأمن الأسري
سورة لقمان نموذجًا

حنان بنت قاسم العنزي
قسم الدراسات الإسلامية ، جامعة الملك سعود بن عبد العزيز للعلوم الصحية، المملكة العربية السعودية
البريد الإلكتروني : dr-hnan@hotmail.com

الملخص :
يهدف هذا البحث إلى الكشف عن دور القيم الأخلاقية في تعزيز الأمن الأسري بأنواعه: الأمن الاعتقادي، والأخلاقي، والاجتماعي؛ باعتبار أنَّ الأسرة صِمام الأمان للمجتمع، ودراسةً لأثر القيم على الأمن الأسري، وسعياً لإيجاد حلٍّ لمشكلة البحث المتمثِّلة **بالكشف عن دور القيم الأخلاقية في تعزيز الأمن الأسري والمحافظة عليه**، مِن خلال استقراء سورة لقمان، وتحديد القيم التي تناولتها السورة باختلاف مجالاتها، ثم تحليلها واستنباط الهدايات القرآنية منها، مع الاستعانة بما جادَ به المفسرون قديمًا وحديثًا، وأخيرًا: وصْف منهجية القرآن الكريم في إقرار القيم الأخلاقية.
وقد خَلُص البحث إلى أنَّ القرآن الكريم قد عُنِي عنايةً فائقةً بتعزيز الأمن الأسري، وبث الهدايات المُعِينة على تعزيز الأمن الأسري، وأنَّ القيم الأخلاقية في سورة لقمان قد أُسِّست لجانبٍ مِن جوانب الأمن الأسري، مراعيةً الجانب الروحيَّ في الإنسان، والجانب الاجتماعي.
فتعزيز القرآن للقيم الأخلاقية له أبعادٌ تنعكس على الجانب الأسري، أيضاً التعزيز القرآني للأمن الأسري له أثرٌ كبيرٌ في استقامة خلق المسلم، وأثرٌ عميقٌ على الأمن الأخلاقي والنفسي للأسرة والمجتمع.
وأوصت الباحثة: بضرورة البدء في تعزيز تلك القيم منذ النشء..

الكلمات المفتاحية : القيم، الأخلاق، الأمن، الأسري.

Ethical values and their impact on family security Surat Luqman as a Model

Hanan bint Qassem Al-Anzi
Department of Islamic Studies, King Saud bin Abdulaziz University of Health Sciences, Kingdom of Saudi Arabia
Email: dr-hnan@hotmail.com

Abstract:
This research aims to reveal the role of ethical values in promoting the all kinds of family security: belief, moral and social security; Considering that the family is the cornerstone of society, studying the impact of values on family security, and seeking to solve the problem of research by revealing the role of moral values in the promotion and preservation of family security through the extrapolation of Surat Luqman, identifying the values addressed by Al Surah with its various fields, analyzing them and eliciting Quranic gifts from them,
The Holy Quran's methodology of moral values is described.
The Quran's promotion of moral values has dimensions that are reflected on the family, as well as the Quranic strengthening of family security has a significant impact on the correctness of Muslim creation and a profound impact on the moral and psychological security of the family and society.
The researcher recommended: The need to start promoting those values from the childhood.

Keywords: Values, Ethics, Security, Family.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدِّمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين سيدنا محمدٍ، وعلى آله وصَحْبِه أجمعين، وبعدُ:

شَكَّلت القيم الأخلاقية بتفسيرها المنضبِط منذ أقدم العصور نقاطاً ارتقت بها الأمم والشعوب، وقد حدَّد القرآن الكريم هذه القيم ووجَّهها ضمن منظومته الربانية المتكاملة؛ ليصنع لنا نظامًا حضاريًّا اجتماعياً يرقى بالأسرة إلى أعلى صور التحضُّر الذي يُعطي الأمن والاستقرار الأسري، والمُحدَّد بمساراتٍ ومعاييرَ دقيقةٍ تُوازِن بين التغيُّر المُطَّرِد والحفاظ على تفسيراتٍ سليمةٍ تمثِّل ثوابت الحضارة الربانية التي تمثِّل له عَيْشًا كريمًا، وتطورًا إيجابيًّا لا يخرج عن معاني الفضيلة والغاية مِن خلْق الإنسان ووجوده على هذه الأرض.

ويُوجِب موضوعُ القيم الأخلاقية –وخصوصاً فيما يتعلق بجانب القيم الأسرية العامة التي حددها القرآن الكريم – تأمُّلَ تفسيراتها ومعانيها الكثيرة لاستخراج المزيد مِن الحقائق الكامنة وراء المعاني ممَّا يُلائم العصر الحاضر؛ سعيًّا لإعادة القيم الأخلاقية التي تراجعت مكانتها، وتفعيل معاني القيم الأخلاقية عن طريق إسقاطها على واقع الناس بعباراتٍ تُلائم أزمنتهم وأمكنتهم على اختلافها.

أيضاً –كما تقدَّم في الملخص– قد جاء هذا البحث ضمن القيم الأخلاقية وأثرها في الأمن الأسري، وتحديدًا في سورة لقمان.

ووقعت هذه الدراسة في مبحثَين، كان الأول منهما: القيم الأخلاقية والإنسانية وأثرها في الأمن الأسري، والمبحث الثاني بعنوان: القيم الأخلاقية في سورة لقمان، ثم الخاتمة والتوصيات، وأخيرًا: قائمة المصادر والمراجع.

مشكلة البحث:

لتحرير مشكلة الدراسة بوضوحٍ، فإنه يمكن تحديد تساؤلات الدراسة في الآتي:

١. ما معرفة مفهوم القيم وأهميتها.؟

٢.ما أبرز المجالات القِيَمِيَّة التي هدف لقمان لتعزيزها في ابنه مِن خلال الوصايا التي أوصاه بها؟

٣. ما القيم التي تندرج تحت المجالات القِيَمِيَّة والمستهدَفة في حوار لقمان مع ابنه؟

٤. ما أبرز الأساليب التي استخدمها لقمان مع ابنه؟

٥. دور القيم الأخلاقية في تعزيز الأمن الأسري.

أهداف البحث:

تهدف هذه الدراسة إلى جملةٍ مِن الأمور، منها:

١. معرفة مفهوم القيم وأهميتها.

٢. معرفة أهمية القيم التي عَزَّزها لقمان في ابنه.

٣. التعرف على دور القيم الأخلاقية، وأثرها في تعزيز الأمن الأسري.

٤.اسْتِجْلاء الأسس القرآنية التي ينبني عليها الأمن الأسري.

٥.استنباط الهدايات القرآنية حول تنظيم علاقة الآباء بالأبناء؛ لإدراك دورها في الأمن الأسري.

منهج البحث:

اقتضت طبيعة الموضوع استخدام المناهج البحثية الآتية:

١- المنهج الاستقرائي(١): وذلك باستقراء الآيات القرآنية التي لها علاقةٌ

(١) هو عملية ملاحظة الظواهر وتجميع البيانات عنها للتوصل إلى مبادئ عامة وعلاقات كلية، ولقد استخدم علماء الحضارة الأوروبية الحديثة المنهج الاستقرائي في تحقيق تقديمهم الحضاري، فقد استخدمه المسلمون قديمًا، كابن الهيثم وغيره من =

بالحديث عن القيم الأخلاقية في سورة لقمان.

٢- المنهج التحليلي[١]،: وذلك بتحليل الآيات القرآنية، بالإضافة إلى الطريقة الاستنباطية، وذلك باستنباط الهدايات القرآنية في تعزيز الأمن الأسري.

الدراسات السابقة:

اهتم عددٌ مِن الباحثين بدراسة ما يتعلق بالقيم الأخلاقية في سورة لقمان مِن جهاتٍ عدةٍ، منها:

١- دور القيم الإيمانية والأخلاقية في تعزيز أمن الأسرة، للباحث/ العطري بن عزوز، نشر مجلة العلوم الإسلامية والحضارية، المجلد ٧، العدد

=

علماء المسلمين في كتاباتهم، وفي المنهج الاستقرائي ينتقل الباحث من الجزء إلى الكل، أو من الخاص إلى العام، حيث يبدأ بالتعرف على الجزئيات ثم يقوم بتعميم النتائج على الكل، ويشمل الدليل الاستقرائي الاستنتاج العلمي القائم على أساس الملاحظة، والاستنتاج العلمي القائم على التجربة بالمفهوم الحديث للملاحظة والتجربة.

ينظر: درويش، محمود أحمد، مؤسسة الأمة العربية للنشر والتوزيع، ص ٦٣.

يحتل المنهج الاستقرائي مكانة كبيرة بين مناهج البحث العلمي، فهو منهج مُؤصل منذ القدم، وفي طليعة من استخدمه كل من الفيلسوفين "أرسطو" و"أفلاطون"، وكذلك كثير من علماء العرب والمسلمين، وفي حقب زمنية مختلفة، وهو منهج ذو أهمية كبيرة لدراسة أنواع مختلفة من الأبحاث سواء الاجتماعية أو الطبيعية، وهو بمثابة استدلال يبدأ من دراسة الجزء ثم التعميم على الكل، ويعتمد على الشك والملاحظة الذهنية، واستخدام المنطق، ومن أنواعه كل من: المنهج الاستقرائي التام، والمنهج الاستقرائي الناقص.

(١) المنهج التحليلي: تَعتبر البعض المنهج التحليل أحد مناهج البحث العلمي الفرعية، وهو بمثابة مُكمل مهم لغيره من المناهج، وفي ذلك نجد المنهج الوصفي التحليلي، والمنهج الاستقرائي التحليلي، والمنهج المقارن التحليلي... إلخ، ويتألف ذلك المنهج من عناصر ثلاثة، وهي تفكيك المشكلة لجزئيات، ثم التقويم والنقد لكل جزء بصفة مستقلة، وفي النهاية التركيب والاستنتاج العلمي.

٢، سنة ٢٠٢٢م: اشتملت الدراسة على: البحث في أهمية الأخلاق في بناء الأسرة في ظل العَوْلَمَة ووسائل التواصل الاجتماعي ، و هو يختلف عن طبيعة هذا البحث .

٢- القيم التربوية في وصايا لقمان- دراسةٌ تحليليةٌ، للباحث/ وقيع الله السيد أحمد، ٢٠٢٢م[١]:

هدفت هذه الدراسة الجامعية إلى إلقاء الضوء على وصايا لقمان الحكيم، وذلك بهدف اسْتِلال القيم التربوية الواردة و خلُصت الدراسة إلى: أنَّ القرآن الكريم مليءٌ بالقيم التربوية العظيمة، وأوصى الباحث في ختام دراسته بعدة توصياتٍ، مِن أبرزها: إدخال وصايا لقمان ضمن براعم إعداد المعلمين، وكذلك ضرورة تسليط الضوء على هذه الوصايا إعلامياً، وتفعيل هذه الوصايا مِن خلال المحاضرات والخطب في المساجد.

٣- تربية الأبناء مِن وصية لقمان لابنه- دراسةٌ موضوعيةٌ، للباحث/ محمد زمري زين الدين:

هدفت الدراسة إلى التعريف بلقمان الحكيم، تتلخص الدراسة مِن خلال تحديد أبرز الوصايا التي أوصى بها ابنه، والملخَّصة في: أنْ يكون الله هو مصدر السلوك، بمعنى: أنْ يكون مخلِصاً لله، وكذلك القصد والاعتدال في كل شيءٍ، مع التأكيد على أهمية استخدام الوعظ كوسيلةٍ تربويةٍ فاعلةٍ ، وهي تختلف عن هذا البحث من حيث التطرق للموضوعات بدراسة تحليلة تربوية .

٤- وصايا لقمان لابنه في سورة لقمان في العقيدة- دراسةٌ بلاغيةٌ تحليليةٌ:

تناولت هذه الدراسة وصايا لقمان؛ حيث قسمها الباحث إلى نوعين:

---

(١) وقيع الله قسم السيد موسى، **القيم التربوية في وصايا لقمان**: دراسةٌ تحليليةٌ، رسالة دكتوراه، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، ٢٠٠٣م.

وصايا عَقَديةٍ اشتملت على حث لقمان لابنه على التوحيد وتعريفه بعلم الله، و التوحيد و نبذ الشرك؛ وركزت الدراسة على الجوانب البلاغية في الآيات مِن خلال المنهج التحليلي.

٥- دور القيم الإيمانية والأخلاقية في تعزيز أمن الأسرة، للباحث/ العطري بن عزوز:

ومع أهمية هذه البحوث التي تحدَّثت عن القيم الأخلاقية، فالبحث يسعى للكشف عن دور القيم الأخلاقية في تحقيق الأمن الأسري، وذلك بما جاء مِن قيمٍ أخلاقيةٍ في سورة لقمان.

خطة البحث:

يتكون هذا البحث مِن: مقدمةٍ، ومبحثَين، وخاتمةٍ.

أما المقدمة فتشتمل على أهمية البحث و الأهداف المرجوة منه ، وأسئلة البحث والدراسات السابقة .

المبحث الأول: دراسة المفاهيم، علاقة القيم بأمن الأسرة.

المبحث الثاني: القيم القرآنية في سورة لقمان- أسسٌ ومُرتكَزاتٌ .

و أما الخاتمة ففيها أهم النتائج و التوصيات ، ثم فهرس المصادر و المراجع .

المبحث الأول:

دراسة المفاهيم ،وعلاقة القيم بأمن الأسرة

القيم الأخلاقية:

تُعد المفاهيم هي الأُسس التي تساعد الباحث على السَّير في بحثه ودراسته بخطواتٍ ثابتةٍ وفي حدودٍ محدودةٍ ومرسومةٍ سابقاً، ولعل مِن أهم هذه المفاهيم: (القيم، الأخلاق، الأمن، الأسرة).

هذا، وقد مَثَّلت القيم عنصراً طبيعياً مِن عناصر تكوين الأسرة والمجتمع بوصْف التقويم –أي: منح الأشياء والأفكار قيمتها– فطرةً إنسانيةً تَتبع فطرة التباين والتفاضل، وهذا سر وجود قيمٍ إنسانيةٍ مشتركةٍ، بغض النظر عن إشكالية تبايُن تفسير هذه القيم.

وقد اشتمل الإسلام على منظومة قيمٍ ثابتةٍ، وقد دل على ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾﴾ [الأنعام:١٦١] "دينًا قِيَمِيًّا لا تنسخه الملل والنِّحَل"[(١)]؛ فالثبات في قيمة الدين أو ما يُعرف اليوم بـ"المنظومة القِيَمِيَّة" هو صفةٌ أساسيةٌ لا مَحيد عنها؛ وللقيم في الإسلام ترتيبٌ وأولوياتٌ، وليست القيم معانيَ منثورةً تُقدَّم وتُوخَّر بلا حدودٍ وضوابطَ، ولا يمكن كذلك الإضافة أو الحذف مِن هذه القيم بحسب حاجة المرء وهَواه، بل هي وحدةٌ متكاملةٌ لا تقبل التجزئة والتقسيم، وقد أشار القرآن الكريم لذلك بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾﴾ [الحجر:٩١][(٢)].

---

(١) الآلوسي، شهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني، تفسير روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، تحقيق: عبدالباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ (٨: ٧٣).

(٢) ابن كثير الدمشقي، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، مكتبة زهران، مصر، الطبعة الأولى (٢:٥٥٩).

لذلك، فإنَّ منظومة القيم في القرآن تمثِّل وجهًا مِن أوجه الإعجاز الاجتماعي المتجدد بتجدد الأزمنة والأمكنة.

دراسة المفاهيم:

ونبدأ ببيان الشق الأول مِن هذا المُركَّب القيم الأخلاقية.

أولاً: القِيَمُ لغةً: جمع قيمةٍ، والقيم مِن التقويم لا التقييم، يُقال: قَوَّمَ السلعة، وقيمة الشيء: ثمنه الذي يعدله، وهي: القَدْر، أيضاً تُطلق على الشيء الثابت المستمرّ، واستقام: اعتدل، قال ابن فارس: "أصلُها: قَوَمَ"[١]، يُقال: قَوَّم السلعة واستقامها: قَدَّرها، وفي حديث عبد الله بن عباس: "إذا اسْتَقَمْتَ بنَقْد الناس فبِعْتَ بنقد الناس، فلا بأس"[٢]، قال أبو عبيد: قوله: إذا استقَمْت يعني: قَوَّمْت، والاستقامة: التقويم لقول أهل مكة: استقَمْتَ المَتَاع، أي: قَوَّمْتَه، والقائم: المتمسِّك بالدين، الثابت عليه[٣].

القِيَمُ في الاصطلاح: تعدَّدت تعريفات العلماء مِن تربويِّين وأكاديميِّين وغيرهم للقيم؛ لاختلاف نظر كلِّ واحدٍ منهم لها.

وعند الحديث عن القيم فإنَّ ذلك يقودنا للحديث عن اختلاف العلماء في تعريفها، وذلك باعتبار النظر إليها: فعرفت القيم بأنها: حالةٌ عقليةٌ ووجدانيةٌ يؤمن بها الفرد، ويعتز بها، ويتبنَّاها، ولها امتدادها وأثرها الطبيعي في طريقة تفكيره وسلوكه.

وذكر الباحث في كتاب: (الدليل الإجرائي لدور معلم القرآن في غرس القيم) [٤]عدة تعريفاتٍ، منها تعريف بيري (Parry) بأنَّ القيم هي

---

(١) مقاييس اللغة مادة قوم (٤: ٨٩).

(٢) تهذيب كتاب السنن لأبي داود ، كتاب البيوع ، باب النهي عن بيع العينة : (٣٤٥/٩) وقال الالباني صحيح.

(٣) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ج ١٢، ص٥٠٠ (مادة قوم).

(٤) فؤاد مراد وآخرون، الدليل الإجرائي لدور معلم القرآن في غرس القيم، جدة، ١٤٣٥هـ (ص: ٦٣).

الاهتمامات، أي: إذا كان أي شيءٍ في وضْع اهتمامٍ، فإنه حتماً يكتسب قيمةً.

ويرى (أبو العينين، ١٩٨٨)[١] بأنَّ القيم: مجموعةٌ مِن المعايير والأحكام تتكون لدى الفرد مِن خلال تفاعله مع المواقف والخبرات الفردية والاجتماعية، بحيث تُمكِّنه مِن اختيار أهدافٍ وتوجُّهاتٍ لحياته، يراها جديرةً لتوظيف إمكانياته، وتتجسد في القيم مِن خلال الاهتمامات أو الاتجاهات أو السلوك العملي أو اللفظي بطريقة مباشرةٍ أو غير مباشرةٍ.

ومِن خلال استعراض التعاريف المختلفة للقيم، فإنه يمكن تعريف القيم بأنّها: مجموعةٌ مِن المبادئ والمقاييس والمعايير الحاكمة على أفكار الإنسان ومعتقداته واتجاهاته، وتؤثِّر في حياته؛ لتمثُّلها في سلوكياته العمليَّة وتصرُّفاته.

وقدد حدد الأستاذ/ طه جابر العلواني القيم في ثلاثٍ، وهي: التوحيد والتزكية والعمران، وعدَّها كلياتٍ قطعيةً تنحصر مصادرها في المصدر الأوحد، في: كليته وإطلاقه وقطعيته، ألا وهو القرآن الكريم.

ثانياً: الأخلاق:

معنى الأَخْلَاقِ لغةً:

الأخلاق: جمع خُلُقٍ، والخُلُق -بضمِّ اللام وسكونها- هو الدِّين والطَّبْع والسَّجِيَّة والمروءة.

معنى الأخلاق اصطلاحًا:

عرَّف الجرجاني الخلق بأنَّه: (عبارةٌ عن هيئةٍ للنفس راسخةٍ، تصدر عنها الأفعال بسهولةٍ ويسرٍ مِن غير حاجةٍ إلى فِكرٍ ورويَّةٍ: فإنْ كان الصادر عنها الأفعال الحسنة كانت الهيئة خُلُقًا حسنًا، وإنْ كان الصادر

(١) علي خليل أبو العينين، القيم الإسلامية التربوية، المدينة المنورة، ١٩٨٨م (ص: ٣٤).

منها الأفعال القبيحة سُمِّيت الهيئة التي هي مصدر ذلك: خلقًا سيئًا).

تعريف القيم الأخلاقية:

هي: مجموعة النسق القِيَمِي الأخلاقي التي حددها القرآن الكريم كمعاييرَ للسلوك الإنساني في إطار الخير أو الشر، أي: تحديد قرب هذا السلوك أو بُعْدُه عن المثل العليا التي تمثِّل المَحَكَّات الأساسية للأخلاق في المجتمع الإسلامي.

ثالثاً: الأمن:

الأَمْنُ لغةً: ضد الخوف، وله في اللغة: معنيان متقاربان: أحدهما: الأمانة التي هي ضد الخيانة، والتي تدل على سكون القلب، وأصل الأمن: طمأنينة النفس وزوال الخوف(١)، ويطلق على التصديق أيضاً.

قال ابن منظور: "الأمان والأمانة بمعنًى، وقد أَمِنتُ فأَنا أَمِنٌ، وآمَنتُ غيري مِن الأَمن والأَمان، والأَمن: ضد الخوف"(٢).

وفي الاصطلاح هو: عدم توقُّع مكروهٍ في الزمن الآتي(٣)، ويعرِّفه أحد أحد الباحثين بأنه: "اطمئنان الفرد، والأسرة، والمجتمع على أنْ يَحيوا حياةً طيبةً في الدنيا، ولا يخافون على أموالهم، ودينهم، ونَسْلهم مِن التعدي دون وجه حقٍ(٤).

ومع تعدُّد تعريفات الأمن وتَبايُنها إلا أنها تتفق على أنَّ الأمن يعني: الاطمئنان، والسكينة، وعدم وقوع أي مكروهٍ في الحاضر أو المستقبل، ويمكن تعريف الأمن بأنه: اطمئنان الإنسان.

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن (ص: ٩٠).

(٢) ابن منظور، لسان العرب، مادة (أمن).

(٣) مفردات ألفاظ القرآن (ص: ٩٠).

(٤) بسام خضر الشطي، تحقيق الأمن الاجتماعي في الإسلام، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، الكويت، مجلة فصلية، تصدر عن مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، العدد (٧٧) يونيو ٢٠٠٧م، (ص: ٢٩).

رابعاً: الأسرة:

الأَسْر لغةً: هو الحبس والإمساك[١] والشد بالقيد، مِن قولهم: أسرة القتب، وأسرة الرجل: مَن يتقوى بهم، قال تعالى: ﴿وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ﴾ [الإنسان: ٢٨]، وأسرة الرجل: عشيرته ورهطه الأَدْنَون؛ لأنه يتقوَّى بهم.

فالأسرة مِن الناحية اللغوية هي التي ينتسب إليها الإنسان، وهي التي يعيش في كنفها، والأسرة هي العشيرة التي توفِّر لأفرادها سبل الحياة، والحماية، والتربية،.... إلخ.

وتُعرف الأسرة في الاصطلاح بأنها: "هي الوحدة الاجتماعية الأولى في المجتمع، وهي التي يتم عن طريقها حِفظ النوع الإنساني كله"[٢].

تعريف الأمن الأسري:

تنوعت تعاريف الباحثين للأمن الأسري، فمنهم مَن قال: "الأمن الشامل لجميع نواحي حياة الأسرة: عقائديًّا، وأخلاقيًّا، واقتصاديًّا، وصحيًّا"[٣].

لذا فالأمن الأسري هو توفُّر الأمن بكل معانيه وأبعاده.

الأمن الأسري: "أمن الأسرة أمناً عقائدياً وأخلاقياً واقتصادياً وصحياً، بحيث تكون هذه الأسرة بأفرادها خليةً صالحةً"[٤].

ثانياً: علاقة القيم الأخلاقية بأمن الأسرة:

هناك علاقةٌ بين القيم والأخلاق والأسرة، وهذه العلاقة تُستمد مِن

---

(١) ابن فارس، مقاييس اللغة (ص: ١٠٧).

(٢) شيرين أبو عبدو، معالم الأسرة المسلمة في القرآن الكريم- دراسةٌ موضوعيةٌ، (ص: ٥).

(٣) رائد جميل عكاشة، زيتون، منذر عرفات، الأسرة المسلمة في ظل التغيرات المعاصرة، ٢٠١٥، دار الفتح، ص ٢٣.

(٤) أحمد يوسف، أثر العقيدة في تحقيق الأمن النفسي، الفجالة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، د.ت، ص١٧.

المفهوم العام للدين الإسلامي، الذي يجمع هذه المعاني الثلاثة في مفهومٍ واحدٍ، ولا يمكن أنْ يستقِل أحدهما عن الآخر، وهذا ما يؤيده حديث النبي ﷺ: "الإيمان بضعٌ وسبعون شعبةً، أعلاها: قول: لا إله إلا الله، وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبةٌ مِن شُعَب الإيمان"(١).

والأخلاق تمثِّل الأفكار العقدية في المجال الأسري أو المجتمعي؛ فالمفاهيم الإيمانية لكلمة التوحيد لها ارتباطٌ بالممارسات السلوكية؛ وتحديد سلوك الفرد يتم بالفكر العقدي، والاسْتِخْلاف الإلهي للإنسان –الذي هو بناء الحضارة– لا يكون إلا بتجسيد قيم التوحيد، وهذا ما أشار إلية الفاروقي: "فمُبرِّر وجود الإنسان هو طاعة الله وتنفيد أمره، ويؤكد التوحيد أنَّ جوهر هذه الغاية هو استخلاف الله تعالى للإنسان في الأرض بمقتَضَى الاسْتِخْلاف الإلهي"(٢)، ويجب أنْ يتحقق كل ذلك في الأسرة التي هي اللبِنة الأولى للمجتمع.

ثالثاً: سبل تفعيل القيم الأخلاقية مِن خلال سورة لقمان:

يمكن أنْ نستنبط الآليات مِن آيات سورة لقمان بما يأتي:

أولاً: تعليمه القِيَم بالتدريج:

مِن خلال النظر في آيات سورة لقمان يتبين أنه يراعي التدريج في التعليم وتقديم الأهم فالأهم، شيئاً فشيئاً؛ ليكون الأقرب والأَثْبَت للفهم.

﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان: ١٣]، فمع أنَّ الابن كان موحِّداً على دين أبيه،

(١) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان، برقم (٩)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب شعب الإيمان، برقم (٣٥)، واللفظ له.
أخرجه مسلم في صحيحه، حديث رقم:(٣٥).

(٢) الفاروقي، إسماعيل راجي، التوحيد، مدارات للأبحاث والنشر (بيروت، ١٩٨٢م) ط:١، ص: ١١٩.

إلا أنَّ لقمان بدأ مع ابنه بقضية التوحيد(١).

﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ﴾ قال له قولاً به يَعِظُه: بالأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب، فأمره بالإخلاص، ونهاه عن الشرك، وبيَّن له السبب في ذلك، فقال: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ ووجهُ كونه عظيماً: أنه لا أفظعَ ولا أبشعَ مِن الإشراك بالله.

ثم انتقل به إلى قيمٍ أخرى: كالصلاة وبر الوالدين.

ثانياً: تعليمه بالقدوة الحسنة:

التعليم بالعمل أقوى وأَوْقَع في النفْس، وأعون على الحفظ؛ ولذلك تجد في حديث لقمان مع ابنه عامة سبل التعليم بالعمل.

ثالثاً: التعليم بالموعظة والعبرة:

للموعظة الأثرُ البالغ في نفْس المتلقِّي؛ لذا افتَتَح لقمان حديثه بقوله: "يا بني"، وهذا الأسلوب مِن شأنه أنْ يُهيِّئه، ويلفِت انتباهه، ويَصْقل فِكره.

(١) ابن تيمية، مجموع فتاوى ابن تيمية، ج ٤، ص١.

المبحث الثاني:

القيم القرآنية في سورة لقمان: أسسٌ ومُرتكَزاتٌ

تتأسس القيم القرآنية على أسسٍ أربعةٍ، وهي: القيم الإيمانية، والقيم الإنسانية، والقيم الأخلاقية، والقيم العُمْرانية، وهذا ما سنحاول تفصيله في هذا المبحث.

أول شيءٍ تُثمِره القيم هو البناء الشخصي للإنسان المسلم، وتقوية صِلته بالله تعالى، إلى الدرجة التي تجعله يراقبه في كل حركاته وسكناته، ومعنى ذلك أنَّ المسلم في علاقته بربه يستشعر الخشية والخوف منه؛ فالفرد في الأسرة حين يتشبَّع بالقيم الإيمانية يَتحرر مِن الشعور بالخوف على الحياة أو الخوف على الرزق.

بقول عماد الدين خليل: "إنَّ التغيير الذاتي عمليةٌ شاملةٌ تغطي الطاقات البشرية كافةً: عقليةً، وروحيةً، وأخلاقيةً، وسلوكيةً، وجسديةً.."[(١)].

المجال الأول: القيم الإيمانية:

١- توحيد الله وإفراده بالعبادة:

يُعد التوحيد أول مقاصد الشرع، وأصل القيمة القرآنية؛ فهو يوضِّح حدود الدور الإنساني وأبعاده في هذا الوجود، وفي الوقت نفسه: يحقق قدرةً كبيرةً على صياغة المفاهيم الضرورية لبناء فاعلية الإنسان.

إنَّ مُقتَضى الإقرار بالتوحيد ينطلق مِن الإيمان بالله ﷻ ربًّا وحاكمًا ومصدرًا للتشريع؛ ليكون تَوجُّه الأسرة نحو البناء والروح التي ترتقي بالإنسان لأداء دوره الحضاري، وعليه: فالإيمان بالله تعالى إيمانًا حقًّا يجعل شهود القيم حاضراً في مختلف الآيات، فيكون الفعل الإنساني فعلاً مُنسجِمًا مع الفطرة وسنن الكون، فيحقق الإنسان ذاته السَّوِيَّة في أبعادها الفردية

(١) عماد الدين، خليل، العقل المسلم والرؤية الحضارية، دار النصر (القاهرة، ١٩٨٣م) ص: ٤٤.

والجماعية.

وتأسيساً على ما سبق: كانت الوصية بالتوحيد أُولَى وصايا لقمان لابنه: ﴿لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣﴾ حيث إنَّ التربية تركِّز على الوعظ والنصيحة؛ فالنفس الإنسانية لديها الاستعداد للتأثر بما يُلقَى اليها مِن كلامٍ، وهو استعدادٌ مؤقتٌ في الغالب؛ ولذلك يلزمه التكرار.

هذا، وإنَّ والموعظة المؤثرة تفتح طريقها إلى النفس مباشرةً، ويُعد الوعظ والارشاد كلاهما وسيلةً مِن وسائل التربية التي تحقِّق الأمن النفسي، وعاملاً مِن عوامل التعلم، عليهما قامت الرسالات السماوية، وبهما نهضت دعوات الإصلاح الاجتماعي، وهذه الوسيلة أساس بناء الأمم.

وذلك نجد القرآن الكريم يهتم بهداية الإنسان منذ طفولته؛ لذا كان يحفز الآباء على الدعاء بالولد الصالح، ونجده يبين مدى شفقته على ابنه؛ حيث يبدأ كلمته بقوله: ﴿يَٰبُنَيَّ﴾ للتأكيد على عامل الأبوة الذي يدفعه لنُصْحِه بعدم الشرك بالله، ثم يؤكِّد ﴿لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣﴾ أي أنَّ لقمان الحكيم ﷺ نهى ابنه عن الشرك بالله؛ حيث كان هذا النهي مقترنًا بالترغيب والترهيب، أي أنه بَيَّن له السبب في ذلك كونه أمرًا عظيمًا.

٢- قيمة التقوى:

قال تعالى: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ١٦﴾ [لقمان: ١٦].

قيمة التقوى ومراقبة الله هي القيمة العظمى التي تدور كل القيم حولها، وهي قُطْب الرَّحى لجميع القيم الأخرى، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾ [الحجرات: ١٣]؛ ذلك أنَّ هذه القيمة لا تتبدل ولا تخضع لمقاييس الفردية؛ فهي تعني الطاعة لله تعالى في جميع أوامره ونواهيه، لذلك كتبت وصيته ﷺ لمعاذ بن جبل بتقوى الله، وجعلها مُستغرِقةً لكل أحواله ومُستحضَرَةً في كل شؤونه فقال: ((اتقِ الله

حيثما كنت))[1].

وهي أساسٌ في بناء الأسرة الناجحة، وأصلٌ في الأمن النفسي للأسرة، والتقوى ملازمةٌ لمراقبة الله تعالى، ونتيجةٌ حَتْمِيةٌ لها؛ فقيمة المراقبة أنْ يستحضر العبد مَعِيَّة الله في كل حالٍ، وفي حديث جبريل ﷺ حينما سأله عن الإحسان فقال: "أنْ تعبد الله كأنك تراه، فإنْ لم تكن تراه فإنه يراك"، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الحديد: ٤].

وتأسيساً على ما سبق: فالإيمان بالله هو أعظم مُقوِّمٍ في الأمن النفسي، ويتجلَّى ذلك في آثاره النفسية والخلقية والاجتماعية والعائد على الفرد والمجتمع؛ ذلك بأنَّ القيم الإيمانية تجعل الفرد يشعر بالأمن النفسي؛ لأن حياته ورزقه بيد الله.

٣- قيمة مراقبة الله:

قال تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾﴾ [لقمان: ١٦].

القيمة السابقة تُعد نتيجةً حَتْمِيةً لاستحضار رقابة الخالق؛ فبدون قيمة المراقبة لا يستطيع الإنسان الالتزام بالتقوى والإخلاص في الأعمال؛ لأن المراقبة هي تعظيم الله ﷻ حق التعظيم، كما ورد في حديث جبريل ﷺ المشهور حينما سأله جبريل ﷺ عن الإحسان فقال: ((أنْ تعبد الله كأنك تراه، فإنْ لم تكن تراه فإنه يراك))[2].

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الحديد: ٤]؛ فقيمة المراقبة أنْ يستحضر العبد مشاهدة الله له في هذا

أخرجه الترمذي في سننه حديث رقم (١٩٧٨)، و الإمام أحمد في مسنده (٢١٣٩٢) (١)

(٢) أخرجه البخاري (٥٠) واللفظ له، ومسلم (٩).

الموقف، وقُرْبَه له، فينزجر عن فِعل المعصية، ويُقبِل على الطاعة.

٤- قيمة العبادة:

ثم يؤكد القرآن الكريم على الانتقال مِن تعليم أصول العقيدة إلى تعليم أصول الأعمال الصالحة، فابتدأها بإقامة الصلاة قال تعالى: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧﴾ [لقمان: ١٧].

انتقل لقمان مِن تعليم ابنه أصولَ العقيدة إلى تعليمة أصول الأعمال الصالحة، فابتدأها بإقامة الصلاة، والصلاة هي: أقوالٌ وأفعالٌ مخصوصةٌ، تُفتتح بالتكبير، وتُختتم بالتسليم.

والصلاة عماد الأعمال لاشتمالها على الاعتراف بطاعة الله، وطلب الاهتداء للعمل الصالح، وإقام الصلاة، وإدامتها، والمحافظة على أدائها في أوقاتها.

ولا شك ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ﴾ [العنكبوت: ٤٥] فهي تؤثر على أخلاق المسلم، فإذا أقام المسلم الصلاة، فإنَّ الله تكفَّل لهم باستقامة السلوك، وهدوء النفس، وطمأنينة القلب، قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨﴾ [الرعد: ٢٨] قال ابن سعدي: "فإنَّ العبد إذا أقام صلاته على الوجه المأمور به، كان لما سواها مِن دينه أحفظَ وأقومَ، وإذا ضَيَّعها كان لما سواها أضيعَ"(١).

المجال الثاني: القيم الخلقية وعلاقة الإنسان بنفسه:

تُعد القيم الخلقية حجز الزاوية في الخطاب القرآني؛ فالمُثُل والكمالات الخلقية لها المقام الأول في التشريع، وهذا ملحوظٌ في كثيرٍ مِن الأحكام الشرعية؛ حيث نجد مِزاجين وهما: الخلق والتشريع، كما هو الحال بالنسبة

(١) ابن سعدي، تيسير الكريم المنان (٥: ١٠٥).

للعدل والإحسان والتسامح.

وقد كرَّم الله الإنسان، وجعله خليفةً في الأرض بما أودعه مِن خصائصَ تُميِّزه عن بقية المخلوقات، قال تعالى: ﴿*وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء: ٧٠].

لقد اعتنى الخطاب القرآني بالإنسان عنايةً خاصةً، ولا يَخْفَى هذا الاهتمام وتلك العناية على كل دارسٍ؛ حيث أعطاه مسافةً رَحْبَةً مِن التعاليم والتوجيهات الشرعية.

ثانياً :القيم الإنسانية وعلاقة الإنسان بنفسه:

تساهم القيم الأخلاقية في تشكيل شخصية الإنسان الداخلية، ومِن خلالها يحقق المصالح الذاتية مع نفسه، ويمكن تحديد أبرز هذه القيم التي جاءت في سورة لقمان بما يلي:

١- قيمة الصبر:

• جاءت هذه القيمة في سياق الآية ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾﴾ [لقمان: ١٧]. والصبر: "حبس النفْس على العبادات على مَشَقاتها، والمصائب وحرارتها، وعن المنهيات والشهوات ولذتها"(١).

قال الإمام القرطبي: "﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾﴾ أمره بالصبر على شدائد الدنيا: كالأمراض وغيرها، وألا يُخرِجه الجزع إلى معصية الله ﷻ"(٢)، وفي وصية لقمان لابنه بالصبر وهو يحثُّه على تحمُّل أزمات الحياة وتَقَلُّباتها، وهي مِن القيم الأخلاقية العليا تجاه

(١) عدة الصابرين، ابن القيم، دار الحديث، القاهرة، (ص: ١٧).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي. (٨ : ٤١٢)

النفْس.

٢- قيمة الشكر:

الشُّكْرُ: تصوُّر النعمة وإظهارها، ويُضادُّه: الكفر، وهو نسيان النعمة وسَترُها، قال تعالى: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾، فالشكر يؤثِّر في أعماق النفس الإنسانية، فيُحرِّك دوافع الخير في الإنسان؛ ولذلك ينبغي أنْ يكون الشكر لله أولاً، ويليه: للوالدَين؛ لأن الله هو خالقهما، وهو الذي ألقى بحب الأطفال في قَلبَيهما، ولولاه ما كان الآباء والأمهات ينجذبون إلى صغارهم.

٣- قيمة التواضع:

جاءت هذه القيمة في سياق قول الله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ [لقمان: ١٨] يوصي لقمان ابنه بالتواضع والبَشاشة وعدم التكبر، فيقول ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾: لا تُعرِض بوجهك عن الناس، "تصعِّر": مِن مادة (**صعر**)، وهي في الأصل: مرضٌ يصيب البعير، فيؤدي إلى اعْوِجاج رَقَبَتِه.

قال الإمام القرطبي في تفسيره: "أي: لا تُعرِض عنهم تكبُّراً عليهم، يُقال: أصاب البعير صَعرٌ: إذا أصابه داءٌ يُلوى منه عنقُه، ومعنى الآية: لا تَمِلْ خَدَّك للناس كِبراً عليهم وإعجاباً واحتقاراً لهم؛ وفي الحديث: "يأتي على الناس زمانٌ ليس فيهم إلا أصعرُ أو أبترُ"، ومِن التواضع أيضاً: النهي عن العُجْب والغرور: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾﴾ [لقمان: ١٨].

و"المرح" يعني: الغرور والبَطَر الناشئ مِن النعمة.

و"المختال": مِن مادة: (الخيال) و(الخيلاء)، وتعني: الشخص الذي يرى نفسه عظيماً وكبيراً إزاء سلسلةٍ مِن التخيلات والأوهام.

و"الفخور": مِن مادة: (الفخر) وتعني: الشخص الذي يفتخر على

الآخرين.

وتأسيساً على ما سبق: فإنَّ لقمان الحكيم نهى ابنه عن صفتين مذمومتين جداً: إحداهما: التكبر وعدم الاهتمام بالآخرين، والأخرى: الغرور والعُجْب بالنفس، وهما مشتركتان مِن جهة دفْع الإنسان إلى عالم مِن التوهم والخيال والتعالي على الآخرين، والتي تؤدي إلى قطْع علاقته بالآخرين وانعزاله عنهم، خاصةً وأنه بملاحظة الأصل اللغوي لـ"صعر" سيتضح أنَّ مثل هذه الصفات مرضٌ نفسيٌ وأخلاقيٌ، ونوعٌ مِن الانحراف في التشخيص والتفكير، وإلا فإنَّ الإنسان السالم مِن الناحية الروحية والنفسية لا يُبتلى مطلقاً بمثل هذه الظنون والتخيلات.

٤- قيمة الاعتدال والوسطية:

وهذه القيمة عامةٌ في التعامل مع النفس، ويمكن استنباطها مِن قول الله تعالى: ﴿وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ١٩﴾ [لقمان: ١٩].

وكانت وصية لقمان لابنه: "وكن معتدلاً في مشيتك، بحيث لا تُبطِئ ولا تُسرِع، مِن القصد وهو: التوسط في الأمور"(١).

واخفض مِن صوتك فلا ترفعه إلا إذا استدعى الأمر رفْعَه؛ ففيه أدبٌ وثقةٌ بالنفس، واطمئنانٌ إلى صدق الحديث.

ولا يقتصر التوسط والاعتدال على المشي، وخَفْض الصوت فحسب، بل يمتد إلى شؤون الحياة كافةً.

ثالثاً: القيم المتعلقة بالتعامل مع الآخرين:

يُعد الإنسان مدنياً بطَبْعِه، ومِن طبيعته الاجتماعية لا ينفك عن التعامل مع الآخرين ممن تربطه بهم روابطُ مختلفةٌ، ومِن هنا جاءت وصايا

(١) الوسيط في التفسير، الطنطاوي.(٤: ٥٤)

لقمان لابنه.

١- قيمة بر الوالدين:

وتظهر هذه القيمة بوضوحٍ مِن خلال قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [لقمان:١٤].

عزَّزت هذه الآية الأمن الأخلاقي للمسلم في التعامل مع والديه؛ حيث أمرته بالإحسان إليهما، وذكَّرته بمعاناة أمه التي أضعفها ثُقْل الحمل، وقوله: (وهناً على وهنٍ) لتأكيد تلك الوصاية.. ما يثير الباعث في نفس الولد على أنْ يبرَّ بأمه ويَستَتْبِع البر بأبيه"[(١)]؛ حيث جعل الله الوالدين سبباً لوجود الأبناء، فكان مِن الواجب على الأبناء شكر الله وشكر الوالدين على ذلك.

"قال العلماء: فأحقُّ الناس بعد الخالق المنَّان بالشكر والإحسان، والتزام البر والطاعة له والإذعان، مَن قَرَن الله الإحسان إليه بعبادته، وطاعته وشكره بشكره، وهما الوالدان؛ وقيمة بر الوالدين والإحسان إليهما مِن أعظم القيم، اعترافاً بحقوقهما ووفاءً بمَعْرُوفِهما؛ ورَبَط شكر الوالدين بشكر الله تعالى.

وبَيَّنت الآيات بعد هذا حدودَ طاعة الوالدين، وهي: (وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعمها) أي: بالشرك؛ وأما برُّهما: فاستمِرَّ عليه؛ ولهذا قال: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٥]، فالأمر بمعاملتهما بالحسنى قائمٌ حتى لو كانا كافرين، وهذه مما يَرْبَأُ بالأسرة عن الخلافات والنزاعات التي قد تُفتِّت أواصر المحبة بين الآباء والأبناء، وتَذْهَب بالأمن النفسي وطمأنينة القلب، فكان مِن الواجب على المسلم الإحسان لوالديه، وعدم إيذائهما بقولٍ أو فِعلٍ يغضب الله تعالى.

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢١: ١٥٨).

وهذا التعزيز القرآني للأمن الأسري يجده المتأمل لآيات سورة الأحقاف؛ حيث وصَّى الله الولد بالإحسان لوالديه، وسلَّط الضوء على الأم في كلا الموضعين؛ دلالةً على عِظَم حقها(١).

أيضاً يلحظ المتأمِّل في هذا الحوارِ التعزيزَ القرآني للأمن الأخلاقي في علاقة الابن مع والده، وذلك مِن خلال ما يأتي:

- صدَّر لقمان الحديث مع ولده بقوله: (يا بني)، وهذا النداء فيه إظهار الشفقة بطَبْع الأبوة، وإيماءٌ بأنه مخلصٌ له بالنصيحة.

- استخدم أسلوب الحوار والإقناع؛ ليكون أَدْعَى للقبول.

٢- قيمة الصحبة الصالحة:

الأمر باتباع طريق الصالحين يتجلى في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾﴾ [لقمان: ١٥].

"وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَن أَنَابَ إِلَيَّ" وهم: المؤمنون، المستسلمون لربهم، المنيبون إليه؛ و"اتِّباع سبيلهم": أنْ يسلك مسلكهم في الإنابة إلى اللّه، التي هي انجذاب دواعي القلب وإراداته إلى اللّه، ثم يتبعها سَعْي البدن، فيما يُرضِي اللّه، ويُقرِّب منه.

﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾: الطائع والعاصي والمنيب وغيره، ﴿فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ فلا يخفى على اللّه مِن أعمالهم خافيةٌ"(٢).

٣- قيمية الإيجابية:

قيمة الإيجابية: أنْ يكون الإنسان منفتحاً على الحياة كلها، بعيداً عن العزلة، مع استثمار الطاقات والإمكانات المتاحة، ويمكن استنباط هذه القيمة مِن وصية لقمان لابنه، وإرشاده إلى أهم دستورٍ اجتماعيٍ، وهو الأمر

(١) مفاتيح الغيب، الرازي (٢٨: ١٥).

(٢) تفسير السعدي (٢: ٢٢٨).

بـالمعروف والنهـي عـن المنكـر، فيقـول: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧﴾ [لقمان: ١٧].

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تفعيلٌ للدور الإيجابي للمسلم في الأرض، وبـه تتحقق خيريـة هذه الأمـة: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١١٠﴾ [آل عمران:١١٠].

وقد عزَّزت هذه الآية الأمن الأخلاقي؛ فالحرص على نصح الآخرين تجسيدٌ لصفةٍ أخلاقيةٍ تكشف عن الشعور بالمسؤولية التي يجب أنْ يتحلى بها أفراد المجتمع إزاء بعضهم مِن جهةٍ، وعن إقامة شعيرةٍ مِن شعائر الدِّين مِن جهةٍ أخرى، وبهذا يستقيم سلوك أفراد المجتمع، ويشيع الأمن الأخلاقي.

الخاتمة:

للقيم الأخلاقية أثرٌ كبيرٌ في أمان الأسرة واستقرارها، يحفظ لها أَمْنها وعَيْشها، لكن يتعيَّن التركيز على أثر القيم في تعزيز الأمن الأسري التي حمل مضامينَها كتابُ الله ﷻ، وهو ما يوجِب مزيداً مِن النظر مِن قِبَل المتخصصين مِن الباحثين والدارسين في هذا المجال؛ ولقد حاولت مِن خلال هذه الدراسة تقديم نموذجٍ مختصرٍ لهذا الأثر عن ضرورة تبنِّي دراساتٍ مُوسَّعةٍ تُعنى بوجوه الإعجاز الاجتماعي والحضاري في القرآن الكريم، وخصوصاً في باب القيم الأخلاقية التي باتت تؤثر بصورةٍ مباشرةٍ في حياة الأفراد والمجتمعات الإنسانية على حدٍّ سواءٍ.

ولقد توصَّلت الدراسة إلى وجود تأثيرٍ واضح لتفسير القرآن الكريم للقيم الأخلاقية على مجمل تصوُّرات الأسرة والمجتمع لمعاني القيم الأخلاقية ودلائلها، وكذلك أثبتت الدراسة وجود منظومةٍ قيميةٍ واضحةٍ وكاملةٍ توجِب الدراسة والبحث؛ بهدف الإفادة منها في وضْع تصورٍ إسلاميٍ معاصرٍ عن حقيقة وتكاملية القيم الأخلاقية والإنسانية في القرآن الكريم وفق تعبيرات العصر وحاجته، وكذلك البحث في المزيد مِن الوجوه الإعجازية لهذه القيم؛ لإظهار أَحَقِّيَّتِها بالاتِّباع، وكذلك اعتمادها مصدراً أساساً لتفسير القيم عامةً.

وقد توصَّل البحث إلى أهم النتائج، وهي:

١. بثُّ القرآن الهدايات القرآنية المُعِينة على تعزيز الأمن الأخلاقي والنفسي والعقدي.

٢. تعزيز القيم الأخلاقية له أثرٌ كبيرٌ في أمن الأسرة واستقرارها.

٣. تُعد سورة لقمان مِن السور التي تؤسِّس للأمن الأسري.

٤. إنَّ التعزيز القرآني للأمن الأسري له أثرٌ كبيرٌ في استقامة خلق الفرد وسلوكه، وأثرٌ عميقٌ على الأمن الأخلاقي والنفسي للأسرة المسلمة.

٥. بنى لقمان شخصية ابنه بشكلٍ متكاملٍ وشاملٍ، وذلك مِن خلال المجالات القِيَمِيَّة الثلاثة: علاقة الإنسان مع ربه، ومع نفسه، ومع الآخرين.

٦. كانت أبرز القيم التي عزَّزها لقمان في ابنه في العلاقة مع الله: قيمة (العبودية– علم الله– إقامة الصلاة).

٧. القيم الضرورية قد جمَعت بين الجانب الماديِّ والروحيِّ في الإنسان، وهنا تتوجَّه إرادة الأفراد جميعًا إلى المحافظة على هذه القيم التي ترتبط بقضايا الأمة مُشخِّصَةً أمراضها وأسقامها، ومُحاوِلةً الحصول على دوائها وعلاجها، في إطار ما يُسمى بـ"العيش المُشترَك"، مُستمِدةً أحكامَها وأصولَها، وذلك بتفعيل مجموعةٍ مِن المجالات القيميَّة، وتنزيلها على الواقع.

وختامًا: فإنَّ القيم القرآنية نالت حظَّها الأوفر ونصيبها الكافيَ مِن الدراسة والتحليل مِن لَدُن الباحثين عمومًا، ومع ذلك فإنها لم تأخذ مكانتها اللائقة في تجسيد سلوك الإنسان وتنميته.

التوصيات:

- ضرورة تناول الجانب العقائدي للقيم ودورها في تعزيز الأمن الأسري.
- ترسيخ تلك القواعد منذ النشء.

المراجع:

١. ابن سعدي، عبدالرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير القرآن، مؤسسة الرسالة ط١، ٢٠٠٢م.

٢. ابن فارس، مقاييس اللغة، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

٣. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، مكتبة زهران، مصر، الطبعة الأولى.

٤. ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٣م.

٥. أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القران، تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، الطبعة الأولى، القاهرة، مصر، ٢٠٠١م.

٦. أبون، شيرين، معالم الأسرة المسلمة في القرآن الكريم- دراسةٌ موضوعيةٌ- رسالة ماجستير.

٧. الأصفهاني، الحسن بن الفضل، مفردات ألفاظ القرآن الكريم، دار القلم، دمشق، ط٢، ٢٠٠٢م.

٨. الآلوسي، شهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني، تفسير روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، تحقيق: عبدالباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.

٩. بسام خضر الشطي، تحقيق الأمن الاجتماعي في الإسلام، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، الكويت، مجلة فصلية، تصدر عن مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، العدد (٧٧) يونيو ٢٠٠٧م.

١٠. الرازي، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.

١١. على خليل أبو العينين، القيم الإسلامية التربوية- المدينة المنورة- ١٩٨٨م.

١٢. عماد الدين، خليل، العقل المسلم والرؤية الحضارية، دار النصر (القاهرة، ١٩٨٣).
١٣. الفاروقي، إسماعيل راجي، التوحيد، مدارات للأبحاث والنشر (بيروت، ١٩٨٢م) ط: ١
١٤. فؤاد مراد وآخرون– الدليل الإجرائي لدور معلم القرآن في غرس القيم– جدة، ١٤٣٥هـ.
١٥. القرطبي، أبوعبدالله محمد– الجامع لأحكام القرآن المبين لما تضمَّن مِن السنة وآي الفرقان، ت: عبدالله التركي– مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى (ج ١٦، بيروت– لبنان– ٢٠٠٦م).
١٦. محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، ج٢١، تونس، ١٩٨٤م.
١٧. وحيد الدين خان، وصايا لقمان لابنه، مجلة الوعي الإسلامي، وزارة الأوقاف.
١٨. وقيع الله قسم موسى وآخرون– القيم التربوية في وصايا لقمان– دراسةٌ تحليليةٌ– رسالة دكتوراه، جامعة أم درمان الإسلامية، ٢٠٠٢م.

References :

1. aibn saedi, eabdalrahman bin nasir, taysir alkarim alrahman fi tafsir alqurani, muasasat alrisalat ta1, 2002m.
2. abn faris, maqayis allughati, dar ahya' alturath alearabii, bayrut, ta1, 2001m.
3. aibn kathirin, 'abu alfida' 'iismaeil bin kathir alqurashiu aldimashqi, tafsir alquran aleazimi, maktabat zahran, masir, altabeat al'uwlaa.
4. abn manzurin, lisan alearabi, dar 'iihya' alturath alearabii, 1993m.
5. 'abu jaefar muhamad bin jarir altabari, jamie albayan ean tawil ay alquran, tahqiqu: eabdallah bin eabdalmuhsin alturki, markaz hajr lilbuhuth waldirasat alearabiat wal'iislamiati, altabeat al'uwlaa, ja18, alqahirat, masr, 2001m.
6. 'abun, shirin, maealim al'usrat almuslimat fi alquran alkarimi- drast mwdweytun- risalat majistir.
7. al'asfahani, alhasan bin alfadala, mufradat 'alfaz alquran alkarim, dar alqalami, dimashqa, ta2, 2002mi.
8. alalwsy, shihab aldiyn mahmud bin eabdallah alhusayni, tafsir ruh almaeani fi tafsir alquran walsabe almathani, tahqiqu: eabdalbari eatiat, dar alkutub aleilmiati, bayrut, 1415h.
9. basaam khadir alshati, tahqiq al'amn alaijtimaeii fi al'iislami, majalat alsharieat waldirasat al'iislamiati, alkuayta, majalat fasliatun, tasdur ean majlis alnashr alealmii, jamieat alkuayt, aleadad (77) yuniu 2007m.
10. alraazi, mafatih alghib, dar 'iihya' alturath alearabia, bayrut, ta3, 1420h.
11. ealaa khalil 'abu aleaynayni, alqiam al'iislamiat altarbawiati- almadinat almunawarati- 1988m.
12. eimad aldiyn, khalil, aleaql almuslim walruwyat alhadariatu, dar alnasr (alqahrati, 1983).
13. alfaruqi, 'iismaeil raji, altawhid, madarat lil'abhath walnashr (birut, 1982m) ta: 1.

14. fuad murad wakhrun- aldalil al'iijrayiyu lidawr muealim alquran fi ghars alqiami- jidat, 1435hi.
15. alqurtabi, 'abueabdallah muhamad- aljamie li'ahkam alquran almubin lima tdman min alsanat way alfirqan, t: eabdallah alturki- muasasat alrisalat liltibaeat walnashri, altabeat al'uwlaa (j 16, bayrut- lubnan- 2006m).
16. muhamud altahr bin eashur, tafsir altahrir waltanwiri, aldaar altuwnusiat lilnashri, ji21, tunis, 1984m.
17. wahid aldiyn khan, wasaya luqman liaibnuhi, majalat alwaey al'iislami, wizarat al'awqafi.
18. waqie allah qism musaa wakhrun- alqiam altarbawiat fi wasaya luqman- drast thlylytun- risalat dukturah, jamieat 'um dirman al'iislamiati, 2002m.